

المحاضرة السابعة

طرق الشيطان في إضلال الإنسان

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي

(المبتكرات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله نَحمَدُهُ وَنستَعينُهُ وَنستَغْفرُه، وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنفُسنَا مِنْ سَيئَات أَعمَالنَا، مَنْ يَهده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُهُ.

وَبَعْدُ:

فَإنَّ عَدَاوةَ الشَيْطَان للإنْسَان مُستَحْكمَةٌ، وَالحَرْبُ بَينَهُمَا ظَاهرة واضحَةٌ، يَهدَفُ الشَّيطَان أَنْ يُغْويَ بَني آدمَ جَميعًا حَتّىٰ يَكُونُوا مَعَهُ في جَهَنَّمَ، كي لا يكُونَ وحْدَهُ هُنَاكَ، وَلذَلكَ كَانَ منَ الواجب عَلَىٰ كُلّ مُسْلم أَنْ يَعْرفَ أَساليبَ الشَّيطَان ليحْذَرَهَا، وَمدَاخلَهُ ليتَجنَّبَهَا، وطُرقَهُ ليبْتَعدَ عَنْهَا، وَقَدْ أوضَّحْتُ ذَلكَ كُلَّهُ بفضْل الله وَتَوْفيقه في كتَابي: «**وِقَايَةُ الإنْسَانِ مِنَ الجِنِّ والشَّيطَان**».

وَلَكنّي أَفْردتُ طُرقَ الإضْلال وَأسَاليبَ الشَّيطَان في الإغْوَاء في تلْكَ الرسَالَة لَمَّا وَجدْتُّهَا قَدْ عَمَّتْ بهَا البَلْوَىٰ وَجهلَهَا كثير منَ النَّاس.

سَائلاً الله تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَنْصُرَنا عَلَىٰ الشَّيْطان، وَأنْ لا يَجْعلَ لَه عَلَيْنَا

النوايا التي يمكن أن يستحضرها المحاضر قبل إلقاء هذه المحاضرة

أولاً: النوايا العامة:

١ ـ ينوي القيام بتبليغ الناس شيئًا من دين الله إمتثالاً لقول النبي ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية» رواه البخاري.

٢ ـ رجاء الحصول علي ثواب مجلس العلم(١).

٣ ـ رجاءأن يرجع من مجلسه ذلك مغفورًا له(٢).

٤ ـ ينوي تكثير سواد المسلمين والالتقاء بعباد الله المؤمنين.

٥ ـ ينوي الاعتكاف في المسجد مدة المحاضرة ـ عند من يرىٰ جواز ذلك من الفقهاء ـ لأن الاعتكاف هو الانقطاع مدّة لله في بيت الله.

٦ ـ رجاء الحصول علىٰ أجر الخطوات إلىٰ المسجد الذي سيلقي فيه المحاضرة(٣).

---

(١) روىٰ مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده».

(٢) روىٰ الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٧) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم علىٰ ذكر، فتفرقوا عنه إلا قيل لهم قوموا مغفورًا لكم»، ومجالس الذكر هي المجالس التي تذكر بالله وبآياته وأحكام شرعه ونحو ذلك.

(٣) في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من غدا إلىٰ المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح».
وفي صحيح مسلم عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «من تطهر في بيته ثم مضىٰ إلىٰ بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته: إحداها تحط خطيئة، والأخرىٰ ترفع درجة».

٧ ـ رجاء الحصول على ثواب انتظار الصلاة بعد الصلاة، إذا كان سيلق
محاضرته مثلاً من المغرب إلى العشاء، أو من العصر إلى المغرب[١] .

٨ ـ رجاء أن يهدي الله بسبب محاضرته رجلاً. فيأخذ مثل أجره[٢] .

٩ ـ ينوي إرشاد السائلين، وتعليم المحتاجين، من خلال الرد على أسئ
المستفتين[٣] .

١٠ ـ ينوي القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ بالحكم
والموعظة الحسنة ـ إن وجد ما يقتضي ذلك[٤] .

١١ ـ ينوي طلب النضرة المذكورة في قول النبي ﷺ: «**نَضَّر الله عبدًا سم
مقالتي فوعاها وحفظها، ثم أداها إلى من لم يسمعها**». رواه أحمد والترمذ
وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

ـ ثم قد يفتح الله على المحاضر بنوايا صالحة أخرى فيتضاعف أجره لقو
النبي ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**». متفق عليه.

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال أحدكم
صلاة مادامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة».
ـ وروى البخاري عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذ
صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه».

(٢)، (٤) روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «فوالله لا
يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم».
ـ وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أج
من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا».

(٣) روى الترمذي وصححه الألباني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله وملائكته، حت
النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير».
وصلاة الملائكة الاستغفار.

ثانيًا: النوايا الخاصة:

١ - ينوي بإلقاء هذه المحاضرة تحذير المسلمين من كيد الشياطين.

٢ - ينوي بها كشف خطط الشيطان.

٣ - ينوي بها حث الناس على الطاعات وتنفيرهم من المعاصي السيئات.

٤ - ينوي بها حث المسلمين علي الثبات على الحق وعدم الضعف أمام اغراءات الشياطين.

٥ - ينوي بها تحذير المسلم من خطوات الشيطان التي تأتي في صورة النصح للإنسان.

❊ ❊ ❊

الخبرة المديدة

لَوْ أَنَّ إنْسَانًا مَارَسَ عملاً مُعَيَّنًا خَمْسِينَ عَامًا مَثَلاً؛ لأَصْبَحَ فيه مُحَنَّكًا بمَدَاخله وَطُرُقه وَخفايَاه، فَهَذَا إبليس عَلَيْه لَعْنَةُ الله منْ يوم طَرْده منَ الجَنَّة حَتَّى الآنَ لَيْسَ لَهُ عَمَل إلا إضْلالُ الخَلْق وَإغوَاؤهُمْ، فَهَذه المُدَّةُ الطَّويلَةُ وَتلكَ الخبْرَة المَديدَةُ جَعَلَتْه يَخْتَرعُ أَفَانينَ في الإغْوَاء وَالإضْلال فَمنْ هَذه الحيل:

١ـ تَزْيينُ البَاطل.

٢ـ تَسْميَةُ المَعَاصي بأَسمَاء محببة.

٣ـ تَسْميَةُ الطَّاعَات بأسماء منفرة.

٤ـ دُخُولُه إلىٰ النَّفْس من أحبِّ الأبواب إليها.

٥ـ التدرُّجُ في الإضلال.

٦ـ الصَّدُّ عن الحق.

٧ـ إظهارُ النُّصْح للإنْسَان.

٨ـ الاستعانةُ بشياطين الإنس.

وإليكَ بيانُها بالتَّفْصيل:

١. تزيين الباطل

إنَّ البَاطل لَهُ صُورَة قَبيحَة وَسيم وَقحَة، وَلذَلك يَعمدُ الشَّيطَانُ إلَى هَذا البَاطل فَيُغَطّيه بغطاء جَميل ويُلْبسهُ رداءً حَسَنًا ثَمَّ يزيّنهُ ويُحَسّنهُ ثُمَّ يبدأُ في إغواء العَبْد به وَمَا عَلمْنَا ذَلكَ إلا منْ قَوْل الشَّيطَان نَفسه حينَ قَال لربّه: ﴿لأُزَيّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. فالتَّزْيينُ أَوَّلاً ثُمَّ الإغْوَاءُ.

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمهُ اللهُ تَعالَى:

«وَمنْ مَكَايده أَنَّهُ يَسْحَرُ العَقْلَ دَائمًا حَتَّى يَكيدَهُ، وَلا يَسْلَمُ من سحْره إلا مَن شَاءَ اللهُ، فَيُزيّنُ لَهُ الفعلَ الذي يَضُرُّهُ حَتَّى يُخيّل إلَيْه أَنَّهُ من أَنْفع الأَشْيَاء وَيُنَفّرُهُ منَ الفعل الَّذي هُوَ من أَنْفع الأَشْيَاء، حَتَّى يُخيّل لَهُ أَنَّه يَضُرُّهُ.

فَلاَ إلَهَ إلا اللهُ فَكَمْ فُتنَ بهَذَا السّحر إنْسَان! وَكَمْ حَالَ به بَيْنَ القَلْب وَبَيْنَ الإسْلام وَالإيمَان وَالإحسَان! وَكَمْ جَلَّى البَاطل وَأَبرزَهُ في صُورَةٍ مُسْتَحسَنَةٍ! وكَمْ شَنَّعَ الحَقَّ وَأَخْرَجَهُ في صُورَةٍ مُسْتَهجَنَةٍ! وكم بَهْرَج منَ الزُيُوف عَلَى النَاقدينَ، وَكَمْ روَّجَ منَ الزَّغَل عَلَى العَارفينَ، فَهُوَ الَّذي سَحَرَ العُقُولَ حَتَّى أَلقَى أَرْبَابَهَا في الأَهْوَاء المُخْتَلفة، وَالآرَاء المُتَشَعّبَة وَسَلَكَ بهمْ في سُبُل الضَّلال كُلَّ مَسْلَكٍ، وأَلقاهُمْ منَ المَهَالك في مَهْلكٍ بَعدَ مَهْلكٍ.

وَزَيّنَ لَهُمْ عبَادَةَ الأصْنَام وَقَطيعَةَ الأَرْحَام وَوَأْد البَنَات، ونكَاحَ الأُمَّهَات وَوَعَدَهُمْ بالفَوز بالجَنَّات مَعَ الكُفْر وَ الفُسُوق والعصْيَان، وَأبرزَ لهُم الشرك في صُورَة التَّعْظيم، وَالكُفْرَ بصفَات الرّب تَعالَى وَعُلُوّه وَتكَلُّمه بكُتُبه في قَالَب

التَّنْزيه، وتَرْكَ الأَمر بالمَعْرُوف وَالنَّهيَ عَن المُنْكَر في قَالَب التَّودُّد إلَى النَّاس، وَحُسْنَ الخُلُق مَعَهُمْ وَالعَمل بقوله: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَالإعْرَاضَ عَمَّا جَاءَ به الرَّسُولُ عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ في قَالَب التَّقْليد، والاكْتفَاء بقَوْل مَنْ هُوَ أَعْلَمُ منْهُ، وَالنّفاقَ والادهانَ في دين الله في قَالَب العَقْل المعيش الَّذي يَنْدَرجُ به العَبْدُ بَيْنَ النَّاس»[١] . اهـ.

❊ ❊ ❊

(١) إغاثة اللهفان (١ / ١١٠).

٢. تسمية المعاصي بأسماء مُحبّبة

مَنْ صُور هَذَا التَّزيين تَسْميَةُ الفَواحش والمَعَاصي بأسمَاء مُحَبَّبَة إلَىٰ النُّفوس لكَي يُخْفي خُبْثها وَفُحْشَهَا ؛ فَهُوَ الَّذي سَمَّىٰ الشَّجَرةَ بشَجَرة الخُلْد ﴿ **هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٠].

يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله تَعَالَى: «وَقَدْ وَرَّثَ أَتْبَاعَهُ تَسْميَةَ الأُمور المُحَرَّمَة بالأَسْمَاء الَّتي تُحبُّ النُّفُوس مُسَمَّيَاتها، فَسَمّوا الخَمْرَ بأُمّ الأَفْرَاح . . .»(١).

فَهُمُ الَّذين يُسَمُّونَ الرّبَا بالفَائدَة، ويُسَمُّونَ التَّبَرُّجَ الفَاضحَ بحُرّية المَرْأَة، ويُسَمُّونَ الاخْتلاطَ المُسْتَهتر بالتَّقَدُّم وَالتَّمَدُّن، ويُسَمُّونَ المُغَنّيَةَ الفاسقَةَ الفَاجرَةَ بالفَنَّانَة .

ويُسَمُّونَ المُمَثّلَةَ الخَليعَةَ بالبَطَلَة، وَيَجْمَعُونَ كُلَّ هَذَا الفسْقَ وَالفُجُور وَالعصْيَانَ تَحْتَ اسم الفن، كُلُّ هَذَا ليَجْذبُوا قُلُوبَ النَّاس إلَىٰ فُحْشهم وَخُبْثهم .

* * *

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ١١٢).

٣. تسمية الطاعات بأسماء منفرة

إنَّ الحَقَّ تَكُونُ عَلَيْه مسْحَة من نُور، وَتَعْلُوه إشْرَاقَة وَضَّاءَة، فَلَوْ ظَلَّ كما هو دُونَ تَشْويه أَوْ تَقْبيح لَتهافَتَتْ إلَيْه النُّفُوسُ، وأَصْغَتْ إلَيْه الأَسْمَاعُ وركَنَتْ إلَيْه القُلُوبُ؛ ولذَا كانَ دورُ الشَّيْطَان الأَوَّل هُوَ تَقْبيح صُورَة الحَقّ وتَشْويهه وتَسْميَته بأَسْمَاء مُنَفّرة، فَهُوَ الَّذي أَوْحَىٰ إلَىٰ أَوْليَائه من كُفَّار مَدْين أَنْ يَقُولُوا للنَّاس: ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠].

وَهُوَ الَّذي أَوْحَىٰ إلَىٰ أَوْليَائه منْ كُفَّار قَوْم فرْعَونَ بتَسْميَة مُوسَىٰ وَهَارُونَ سَاحِرَين ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ [طه: ٦٣].

وَهُوَ الَّذي أَوْحَىٰ إلَىٰ أَوْليَائه منَ الكُفَّار منْ قَوْم عَادٍ أَنْ يَقُولُوا لنَبيّهمْ هودٍ عليه السلامُ: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦].

وَهُوَ الَّذي أَوْحَىٰ إلَىٰ أَوْليَائه منْ كُفَّار قُرَيْشٍ بتَسْميَة رَسُول الله ﷺ بالسَّاحر وَالكَاهن وَالشَّاعر وَالمَسْحُور وَالمَجْنُون وغَيرهَا منَ الأَسْمَاء المُنَفّرَة: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

وَلَكنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَفَىٰ كُلَّ مَا نسبَ إلَىٰ رَسُول الله ﷺ منْ زُورٍ وبُهْتَانٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

وَقَالَ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١: ٤٣]، وَهُوَ الَّذي أَوْحَىٰ إلَىٰ أَوليَائه من كُفَّار قريشٍ بتَسْمية أَتْبَاع النَّبيّ ﷺ بالصَّابئينَ.

وَمَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَسيرُ في نَفْس الخطَّة وَبتلْكَ الوَسَائل حَتَّىٰ زَمَاننا هَذَا، فَهُوَ

الَّذي أوحىٰ إلىٰ أَوْليَائه بتَسْمِيَة المُتَمَسّكينَ بهَدْي النَّبي ﷺ وَالمُسْتَنّين بسُنّته بالمتَطرّفينَ والمُتَعصّبين.

كَمَا يُسَمُّونَ البُعْدَ عَن المَعَاصي وَدُور الفسْق وَالفُجُور انغلاقًا وَيُسَمُّونَ الحجَابَ الشَّرعيَّ خَيْمَةً، وَيُسَمُّونَ المَرْأَةَ الَّتي التزَمَتْ بأمْر ربّها وَجَلسَتْ في بَيْتها رَجْعيَّةً وَمُتَخَلّفَةً، كُلُّ ذَلكَ منْ وَحْي الشَّيْطَان إليهمْ.

وَلَكنْ أُنَادي أَهْلَ الحَقّ: لا تَجْعَلُوا هَذَا يُثْني منْ عَزمكُمْ فَتَترَاجَعُوا عَنْ سُنَّة نَبيّكُمْ، بَلْ ازْدَادُوا تَمسكًا وَقُولُوا:

لا تَلْمـزُونَا يَا خَـفَـافيشَ الدُّجَى ... بتَطَرُّف وَتَسَـرُّع وَتَشَدُّد
لا تَقْـذفُونَا بالشُّذُوذ فَإِنَّنَا ... سرْنَا عَلى نَهْج الخَليل مُحَمَّد
وَلكُلِّ قَوْلٍ تَسْـتَدلُّ بآيَة ... أَو بالحَديث المُسْتَقيم المُسْنَد
وَالنَّسْخُ نَعْرفُ وَالعُمُومُ وَإِنَّنَا ... مُتَفَطّنُون لمُطْلَق وَمُقَيّد
وَنُصُوصُ وَحْي الله نُتْقنُ فَهْمَهَا ... لاَ تَحْسَبُونَ الفَهْمَ كَالرَّأْي الرَّدي
وَإِذَا تَعَارَضَت النُّصُوصُ فَإِنَّنَا ... بأُصُول سَادَتنَا الأَئمة نَهْتَدي

❊ ❊ ❊

٤. دُخُولُهُ إلى النَّفس مِن أحبِّ الأبوابِ إليها

إنَّ عَدُوَّ الله لا يَدخُلُ عَلَىٰ النَّفْس إلا منَ البَاب الَّذي تُحبُّهُ وَتَهوَاهُ ؛ لأنَّهُ بذَلكَ يُحَقِّقُ مُرَادَهَا وَهَوَاهَا فَيَجدُ الشَّيْطَانُ منَ النَّفْس عونًا ومنَ الهَوَىٰ مَدَدًا.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّم: «وَهَذا بَابُ كَيْده الأَعْظَم الَّذي يَدْخُلُ منْهُ عَلَىٰ ابْن آدَمَ فَإنَّهُ يَجْري منْهُ مَجْرَىٰ الدَّم حَتَّىٰ يُصَادفَ نَفْسَهُ وَيُخَالطَهُ، وَيَسْأَلَهَا عَمَّا تُحبُّهُ وَتُؤْثرُهُ، فَإذَا عَرَفَهُ اسْتَعَانَ بهَا عَلَىٰ العَبْد وَدَخَلَ عَلَيْه منْ هَذَا البَاب.

وَكَذَلكَ عَلَّمَ إخْوَانَهُ وَأَوْليَاءهُ منَ الإنْس إذَا أَرَادُوا أَغْرَاضَهُمُ الفَاسدَةَ منْ بَعضهمْ بَعْضًا أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهمْ منَ البَاب الَّذي يُحبُّونَهُ وَيَهْوُونَهُ فَإنَّهُ بَاب لا يُخْذَلُ عَنْ حَاجَته مَنْ دَخَلَ منْهُ، وَمَنْ رَامَ الدُّخُولَ منْ غَيْره فَالْبَابُ عَلَيْه مَسدُود وَهُوَ عَنْ طَريق مَقْصده مَصْدُود. اهـ.»[١].

❊ ❊ ❊

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١١٢).

٥. التدرُّج في الإضلال

إنَّ الشَّيطَانَ لا يَأْتِي الإِنْسَانَ وَيَقُولُ لَهُ: افعَلْ هَذه المَعْصيَةَ أَو ارْتَكبْ هَذه
ـاحشَةَ، وإنَّمَا يُقَرِّبُهُ منْهَا خُطْوَةً خُطْوَةً.

وَقَديمًا قَالُوا: «نَظْرَة فابتسَامَة فكَلام فَموعد فلقَاء» وهنَا يَقَعُ المَحْظُور،
ذَلكَ حَذَّرَنَا اللهُ تبارك وَتَعَالَىٰ من اتِّبَاع خُطُوَات الشَّيْطَان فَقَالَ: ﴿**يا أَيُّهَا**
ـذِين آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
ـالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

فَهَذَا نداءُ شَفَقَة وَرَحْمَة منَ الرَّؤوف الرَّحيم إِلَىٰ عبَاده مُحَذِّرًا لَهُمْ من اتّبَاع
ـرق الشَّيطَان وَمَسَالكه وَمُنَبِّهًا عَلَىٰ أَنَّهُ يَجبُ عَلَىٰ العبد أَنْ يُغْلقَ بَابَ الطَّريق
ـنْ أَوَّله كي لا يَنْدَرجَ مَعَهُ في الغوايَة والضَّلال.

وَمَنْ فَهمَ مَقَاصدَ الشَّريعة تَبيَّنَ لَهُ ذَلكَ بوضُوحٍ، فَمَا قاعدَةُ «**سَدِّ الذَّرَائع**»
ـا منْ هَذَا القَبيل، وَكَذَا تَحْريمُ الخَلوَة بالأَجْنَبية وَغَضُّ البَصَر، فَكُنْ مُتَيَقِّظًا
ـي المُسْلم لخطَط الشَّيطان وَحَبَائله.

وَيُرْوَى عَنْ وَهب بْن مُنبِّه قَالَ: كَانَ عَابدًا في بَني إسْرَائيلَ وَكَانَ أعبدَ أَهْل
ـمَانه، وَكَانَ في زَمَانه ثَلاثَةُ إخْوَة لَهُمْ أُخت وَكَانَتْ بكْرًا لَيس لَهُمْ أُخت
ـيرهَا، فَخَرَجَ البَعْثُ عَلَىٰ ثَلاثَتهم فَلَمْ يَدْرُوا عندَ مَنْ يَخْلُفُونَ أُختَهُمْ وَلا مَنْ
ـمَنُونَ عليهَا، وَلا عندَ مَنْ يَضَعُونَهَا.

قَـالَ: فَأَجْمعَ رَأْيُهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُفُوهَا عندَ عَابد بَني إسْرَائيلَ وَكَانَ ثقَةً في
ـفُسهمْ، فَأَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ أَنْ يخلُفُوهَا عندَهُ فَتكُون في كَنَفه وَجوَاره إلَىٰ أَنْ

يرجعوا من غزاتهم ، فأبىٰ ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم .

قال: فلم يزالوا به حتىٰ أطاعهم فقال : أنزلوها في بيت حيال صومعتي .

قال: فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ، ثم يغلق بابه ويصعد إلىٰ صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من طعام .

قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها ، فلو مشيت بطعامها حتىٰ تضعه علىٰ باب بيتها كان أعظم لأجرك .

قال: فلم يزل به حتىٰ مشىٰ إليها بطعامها ووضعه علىٰ باب بيتها ولم يكلمها .

قال: فلبث علىٰ هذه الحالة زمانا .

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه .

قال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتىٰ تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك .

قال: فلم يزل به حتىٰ مشىٰ إليها بالطعام ثم وضعه في بيتها ، فلبث علىٰ ذلك زمانا .

ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه .

فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة .

قَالَ: فَلَمْ يزَلْ به حَتَّىٰ حَدَّثَهَا زَمَانًا يَطَّلعُ إلَيهَا من فَوق صَومَعَته .

ثُمَّ أتَاهُ إبْليس بُعد ذَلكَ فقالَ : لَوْ كُنتَ تنزلُ إلَيهَا فَتَقْعُدُ عَلَىٰ بَاب صَومَعَتكَ وَتُحَدّثَهَا وَتَقْعُد هي عَلَىٰ بَاب بيتهَا فَتُحدثك كَانَ آنس لَهَا .

فَلَمْ يزَلْ به حَتَّىٰ أنْزَلَهُ وأجْلَسَهُ عَلَىٰ بَاب صَومَعَته يُحَدّثهَا وَتُحَدّثه وَتَخرجُ الجَاريةُ منْ بَيتهَا حَتَّىٰ تَقْعُدَ عَلَىٰ بَاب بيتهَا فَلَبثَا زَمَانًا يَتَحَدَّثَان .

ثُمَّ جَاءَهُ إبْليسُ فَرَغّبَهُ في الخَير وَالثَّواب فيمَا يَصْنَعُ بهَا . وَقَالَ :

لَوْ خَرجْتَ منْ بَاب صَومَعَتكَ ثُمَّ جَلَستَ قَريبًا منْ بَاب بَيتهَا فَحَدَّثْتهَا كَانَ آنس لَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ به حَتَّىٰ فَعَلَ .

قَالَ: فَلَبثَ ذَلكَ زَمَانًا .

ثُمَّ جَاءَهُ إبْليسُ عَليه لَعْنَةُ الله فَرَغَّبَهُ في الخَير وَفيمَا لَهُ عندَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منْ حسْن الثَّواب فيمَا يَصْنَعُ بهَا ، وَقَالَ لَهُ :

لَو دَنَوتَ منْهَا وَجَلَستَ عندَ بَاب بيتهَا فَحَدَّثْتهَا وَلَمْ تَخرجْ منْ بَيتهَا ففعَل ، فكَانَ يَنزلُ منْ صَومَعَته فيَقفُ عَلىٰ بَاب بَيتها فَيُحدّثهَا .

فَلَبثَ علىٰ ذلك حينًا .

ثُمَّ جَاءَهُ إبْليسُ فَقَالَ : لَوْ دَخَلْت البيتَ مَعَهَا فَتُحدّثهَا ، وَلَمْ تَتركْهَا تُبرزُ وَجْهَهَا لأحَد كَانَ أحْسَنَ بك ، فَلَمْ يَزَلْ به حَتَّىٰ دَخَلَ البَيْتَ فَجَعَلَ يُحَدّثُهَا نَهَارَهَا كُلَّهُ فَإذَا مَضَىٰ النَّهَارُ صَعَدَ إلىٰ صَومَعَته .

ثُمَّ أتَاهُ إبْليس بَعْدَ ذَلكَ فَلَمْ يَزَلْ يُزيّنهَا لَهُ حَتَّىٰ ضَربَ العَابدُ عَلَىٰ فخذهَا وَقبَّلهَا .

فَلَمْ يَزَلْ به إبْليسُ يحسّنُهَا في عَيْنه وَيُسَوّلُ لَهُ حَتَّىٰ وَقَعَ عَلَيْهَا فَأحْبَلهَا فَوَلَدَتْ لَهُ غُلامًا .

فَجَاءَهُ إبْليسُ فَقَالَ: أرَأَيْتَ إنْ جَاءَ إخْوَةُ الجَارِيَة وَقَدْ وَلَدَتْ منكَ كيْفَ تَصْنَعُ؟ لا آمَنُ أنْ تُفْتَضَحَ أَوْ يَفْضَحُوكَ، فاعْمدْ إلَىٰ ابْنِهَا فاذْبَحْهُ وادفنْه فَإنَّها سَتَكْتُمُ ذَلكَ عَلَيْكَ مَخَافَةَ إخْوتها أنْ يطَّلعُوا عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ بها ففعل، فقَالَ:

أَتَرَاهَا تَكْتُمُ إخْوَتَهَا مَا صَنَعْتَ بهَا وَقَتَلْتَ ابْنَهَا؟

قَالَ: خُذْهَا وَاذْبَحْهَا وَادْفنْهَا مع ابْنهَا.

فَلَمْ يَزَلْ به حَتَّىٰ ذَبَحَهَا وَأَلْقَاهَا في الحُفْرَةِ مع ابْنهَا وَأطْبَقَ عَلَيْهِمَا صَخْرَةً عَظِيمَةً وَسَوَّىٰ عَلَيْهِمَا وَصَعدَ إلَىٰ صَوْمَعَته يَتَعَبَّدُ فيهَا.

فَمَكَثَ بذَلكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ حَتَّىٰ أَقْبَلَ إخْوَتُهَا منَ الغَزْو فَجَاءُوا فَسَأَلُوا عَنْهَا فَنَعَاهَا لَهُمْ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهَا وَبكَاهَا وَقَالَ: كَانَتْ خَيْرَ امْرَأَةٍ وَهَذَا قَبْرُهَا فَانظُرُوا إلَيْه.

فَأَتَىٰ إخْوَتُهَا القَبْرَ فَبَكَوْا أُخْتَهُمْ وَتَرَحَّمُوا عَلَيْهَا فَأَقَامُوا عَلَىٰ قَبْرِهَا أَيَّامًا ثُمَّ انصَرَفُوا إلَىٰ أَهَاليهمْ.

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ وَأَخَذُوا مَضَاجعَهُمْ جَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ في النَّوْم عَلَىٰ صُورَة رَجُلٍ مُسَافرٍ فَبَدَأَ بأَكْبَرهمْ فَسَأَلَهُ عَنْ أخْته فَأَخْبَرَهُ بقَوْل العَابد وَمَوْتهَا وَتَرَحُّمه عَلَيْهَا وَكَيْفَ أَرَاهُمْ مَوْضعَ قَبْرهَا فَكَذَّبَهُ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ:

لَمْ يَصْدُقْكُمْ أَمْرَ أُخْتكُمْ إنَّهُ قَدْ أَحْبَلَ أُخْتَكُمْ وَوَلَدَتْ لَهُ غُلامًا فَذَبَحَهُ وَذَبَحَهَا مَعَهُ فَزَعًا منْكُمْ وَأَلْقَاهُمْ في حُفَيْرَةٍ احْتَفَرَهَا خَلْفَ بَاب البَيْت الَّذي كَانَتْ فيه عَنْ يَمين مَنْ دَخَلَهُ، فَانطَلقُوا فادْخُلُوا البَيْتَ، فَإنَّكُمْ سَتَجدُونَهُمَا كَمَا أَخْبَرْتُكُمْ هُنَاكَ جَميعًا.

وَأَتَىٰ الأَوْسَطَ في مَنَامه فَقَالَ لَهُ مثْلَ ذَلكَ.

وَأَتَىٰ أَصْغَرَهُمْ فَقَالَ لَهُ مثْلَ ذَلكَ.

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ القَوْمُ أَصْبَحُوا مُتَعَجّبينَ مِمَّا رَأىٰ كُلُّ وَاحدٍ منْهُمْ.
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَقُولُ كُلُّ وَاحدٍ منْهُمْ: لَقَدْ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ عَجَبًا فَأَخْبَرَ بَعْضُهُم بَعْضًا بِمَا رَأَىٰ.

فَقَالَ كَبِيرُهُمْ: هَذَا حُلْم لَيْسَ بشيء فَامْضُوا بنَا وَدَعُوا هَذا عَنْكُمْ.

قَالَ أَصْغَرُهُمْ: وَالله لا أَمْضي حَتَّىٰ آتي إِلَىٰ هَذا المَكَان فَأَنْظُرَ فيه.

فَانطَلَقُوا جَميعًا حَتَّىٰ أَتَوا البَيْتَ الَّذي كَانَتْ فيه أُخْتُهُمْ ففتَحُوا البَابَ وَبحَثُوا المَوْضعَ الَّذي وُصفَ لَهُمْ في مَنَامهمْ فَوَجَدُوا أُخْتَهُمْ وابْنَهَا مَذْبُوحَيْن في الحُفَيْرَة كَمَا قيلَ لَهُمْ، فَسَأَلُوا عَنْهَا العَابدَ فَصَدَّقَ قَوْلَ إبْليسَ فيمَا صَنَعَ بهمَا.

فَاسْتَعْدَوا عَلَيْه مَلكَهُمْ فَأُنْزلَ منْ صَوْمَعَته وقُدّمَ ليُصْلَبَ.

فَلَمَّا أَوْثَقُوهُ عَلَىٰ الخَشَبَة أَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَلمْتَ أَنّي أَنَا صَاحبُكَ الَّذي فَتَنَكَ بالمَرْأَة حَتَّىٰ أَحْبَلْتَهَا وَذَبحْتَهَا وابْنَهَا، فإنْ أَنْتَ أَطَعْتَني اليَوْمَ وَكفرت بالله الَّذي خَلَقَكَ وصَوَّرَكَ خَلَّصْتُكَ مِمَّا أَنْتَ فيه.

قَالَ: فَكَفَرَ العَابِدُ بِاللهِ، فَلَمَّا كَفَرَ بالله تَعَالَىٰ خَلَّىٰ الشَّيْطَانُ بَيْنَه وَبَيْنَ أَصْحَابه فَصَلَبُوهُ[1].

قَالَ المُفَسِّرُونَ: في هَذَا وَأَمْثَاله نَزَلَتْ: ﴿**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾ [الحشر: ١٥ - ١٧].

هَكَذَا خَطَّطَ لَهُ الشَّيْطَانُ وَدبَّرَ، حَتَّىٰ نَالَ منْهُ مَا يُريدُ وَمَا وَقَعَ هَذَا العَابدُ فيمَا

(١) تلبيس إبليس (٢٦).

وَقَعَ فيه إلا من جَهْله بمَدَاخل الشَّيْطان وَخُطُوَاته، فَلَوْ أَنَّهُ امْتَنَعَ عَلَيْه من أَوَّل خُطْوَةٍ لَرَدَّهُ خَاسئًا.

رَوَى ابْن الجَوْزِيّ بسَنَده إلَى وَهْب بْن مُنَبِّه قَال: كَانَ رَاهب في صَوْمَعَته في زَمَن المَسيح عَلَيه السَّلامُ، فأرَادَهُ إبْليسُ فَلَم يَقْدر عَلَيه، فَأَتَاه بكُلِّ رَائدةٍ فَلَمْ يَقْدرْ عَلَيْه، فَأَتَاهُ مُتَشَبِّهًا بالمَسيح، فَنَادَاهُ: أَيُّهَا الرَّاهبُ، أَشْرفْ عَلَيَّ أُكَلِّمُكَ، قَالَ: انْطَلقْ لشَأْنكَ فَلَسْتُ أَرُدُّ مَا مَضَىٰ منْ عُمري.

فَقَال: أَشْرفْ عَلَيَّ فَأَنَا المَسيحُ، فَقَالَ: إنْ كُنْت المَسيحَ فَمَالي إلَيْكَ حَاجَة، أَلَسْتَ قَدْ أَمَرْتَنَا بالعبَادَة وَوَعَدْتَنَا القيَامَة؟ انْطَلقْ لشَأْنكَ فَلا حَاجَةَ لي منْكَ، فانْطَلَقَ اللَّعينُ وَتَرَكَهُ[1].

انْظُرْ إلَى كلاَ العَابدَيْن:

الأَوَّلُ: أَضَلَّه الشَّيْطَانُ بسَبَب جَهْله.

وَالثَّاني: عُصمَ منَ الشَّيْطَان بسَبب علْمه، وَلذَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**فَضْلُ العَالم عَلَى العَابد كَفَضْلي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ منْ أَصْحَابي**»[2].

* * *

(١) تلبيس إبليس (٢٩).

(٢) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال: حسن صحيح.

٦. الصدُّ عن الحق

أَخَذَ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ نَفْسه عَهْداً لَيُضلَّنَّ بَني آدم وَلَيُغْوينَّهُمْ أَجْمَعينَ إلا مَنْ اعتصَمَ منْهُمْ بالله تَعَالَىٰ وَتَحَصَّنَ بحصْن الإخْلاَص، فَذَلكَ لا سَبيلَ للشَّيْطَان عَليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وَقَالَ القُرْطُبيُّ رَحِمَهُ الله تَعَالَى فِي قَوْله: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أَيْ بالصَّدّ عَنْهُ وَتَزيين البَاطل حَتَّىٰ يَهْلكُوا كَمَا هَلَكَ. قَالَ: وَالصّراطُ الْمُسْتقيمُ هُوَ الطَّريقُ الْمُوَصّلُ إلَىٰ الجَنَّة. ا. هـ[1].

قَالَ الحكمُ بْنُ عُتَيْبَةَ ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: منْ دُنيَاهمْ، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: منْ آخرَتهمْ، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: يَعني حَسنَاتهمْ، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾: يَعني سَيّئَاتهمْ.

قَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: السُّبُل الَّتي يَسلُكُهَا الإنسَانُ أَرْبَعَة لا غَيْرَ، فَإنَّهُ تَارَةً يَأْخُذُ عَنْ جهَة يَمينه، وَتَارَةً عَنْ شمَاله، وَتَارَةً أَمَامَهُ، وَتَارَةً يَرْجعُ خَلْفَهُ، فَأَي سَبيلٍ سَلَكَهَا في هَذه وَجَدَ الشَّيطَانَ عَليهَا رَصداً لَهُ فَإنْ سَلَكَهَا في طَاعةٍ وَجَدَهُ عَلَيْهَا يُثَبّطُهُ عَنهَا وَيَقْطَعُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيبطّئُهُ، وَإنْ سَلَكَهَا لمَعصيَةٍ وَجَدَهُ عَلَيهَا حَاملاً لَه وَخَادماً وَمُعيناً وَمُمَنّياً، وَلو اتُّفقَ لَهُ الهُبوطُ إلَىٰ أَسفَل لأَتَاهُ هُنَاكَ. اهـ.[2].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٧٥).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٤).

رَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائيُّ من حَدِيث سَبرةَ بْن أَبي الفاكه أَنَّهُ سَمع النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشيطَانَ قَعدَ لابْن آدمَ بطُرُقه، فَقَعَدَ لَهُ بطريق الإِسْلام فَقَالَ: أَتسْلمُ وتَذرُ دينَكَ ودين آبائكَ وآباء آبائكَ؟ فعَصَاهُ وأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بطَريق الهجْرَة فَقَالَ: تُهَاجرُ وتَدعُ أَرضَكَ وسَمَاءَكَ؟ وإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجر كَمَثَل الفَرَس في الطِّوَلْ فَعصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بطريق الجهَاد فقَالَ: تُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ - أَي تلَفُ - النَّفْس والمَال فَتُقَاتل فَتُقْتَل فَتُنْكَح المَرْأَةُ وَيُقَسم المَالُ؟ فَعصَاهُ فَجَاهَدَ، فَمَنْ فعَلَ ذَلكَ - كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ قُتلَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخلَهُ الجَنَّةَ، وإِنْ غَرقَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخلَهُ الجَنَّة، وإِنْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخلَهُ الجَنَّةَ»(١).

قَالَ النَّحَّال: وَهَذَا قَول حس وَشَرحُهُ: أَنَّ مَعنَىٰ ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: منْ دُنيَاهُمْ حَتَّىٰ يُكَذِّبُوا بمَا فيهَا منَ الآيَات وأَخْبَار الأُمَم السَّالفَة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: منْ آخرتهمْ حَتَّىٰ يُكذِّبُوا بهَا، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾: منْ حَسنَاتهمْ وأمور دينهمْ ويَدلُّ عَلَىٰ هَذَا قَولُه: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾: يَعني سَيئَاتهمْ، أَي يَتَّبعُونَ الشَّهَوات لأَنَّهُ يزيّنُهَا لَهُمْ، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: أَيْ مُوَحّدينَ طَائعينَ مُظْهرينَ الشُّكرَ. اهـ.(٢).

وَصحّ عَن ابن عَبَّاس رَضي الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: وَلَمْ يَقُلْ: «منْ فوقهمْ» لأَنَّهُ عَلمَ أَنَّ الله منْ فَوقهمْ، قَالَ قَتَادَةُ: أَتَاكَ الشَّيطَانُ يَا بن آدَمَ منْ كُلّ وجْه غَير أَنَّهُ لَمْ يَأْتكَ منْ فَوقكَ لَمْ يَستطعْ أَنْ يَحُولَ بينَكَ وَبَينَ رَحمَة الله.(٣).

---

(١) رواه النسائي (٥/ ٢١) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١٣٨٩): إسناده صحيح.
(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٧٦).
(٣) إغاثة اللهفان (١/ ١٠٣).

قَالَ شَقِيق: «مَا منْ صَبَاحٍ إلا قَعَدَ لي الشَّيْطَانُ عَلَىٰ أَرْبَعَة مَراصد منْ بَين يَدَيَّ ومن خَلْفي وعَنْ يَميني وعَنْ شمَالي، فيَقُولُ: لاتَخَفْ فإنَّ اللهَ غَفُور رَحيم، فَأَقْرَأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[سورة طه: ٨٢] وَأَمَا من خَلْفي فَيُخوفني الضَّيعَةَ عَلَىٰ مَنْ أَخْلُفُه فَأَقْرَأُ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود:٦]، وَمنْ قبل يَميني يَأْتيني من قبَل النّسَاء فَأَقْرأُ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وَمنْ قبل شمَالي يَأْتيني من قبَل الشَّهوات فَأَقْرَأُ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[سبأ: ٥٤]»[1].

* * *

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ١٠٤).

٧. إظهارُ النصح للإنسان

إنَّ الشَّيْطَانَ لا يَأْتي الإِنْسَانَ وَيقُولُ لَهُ: افعَلْ كَذَا منَ المَعَاصي لكَي تَنَالَ العَذابَ الأَليمَ، وَإنَّمَا يَأْتيه في صُورَة النَّاصح الأَمين، وبهَذه الحيلَة تَمَكَّنَ مِنْ إغْوَاء أَبَوَيْنَا وإخْرَاجهمَا منْ الجَنَّة ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١]، وَلذَلكَ حَذَّرَنَا اللهُ منْ هَذه الفتْنَة وَتلْكَ الحيلَة قَائلاً: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّة ﴾ [الأعراف: ٢٧].

كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْض السَّلَف أَنَّهُ قَالَ: إذَا جَاءَكَ الشَّيْطَانُ في الصَّلاة فَقَالَ: إنَّكَ تُرائي فَزدْهَا طُولاً فَلا نَجَاة إلا بمُخَالَفَة الشَّيْطَان وَلَوْ أَظْهَرَ النُّصْحَ للإِنْسَان.

* * *

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٦٧).

٨ـ الاستعانة بشياطين الإنس

إنَّ من النَّاس مَنْ تُخَالطُ بَشاشَةُ الإسْلام قَلْبَهُ فَيَقْوَىٰ إيمَانُهُ ويَعْلُو يَقينُهُ ويُخَالطُ الإسْلامُ لَحْمَهُ ودَمَهُ فَلا يَسيرُ إلا عَلَىٰ هَدْيه وَلا يَسْتَضيء إلا بنُوره ولا يَقْتَدي إلا برَسُوله ﷺ فَهُوَ مُلْتَزم بالإسْلام في كُلّ صَغيرةٍ وكَبيرةٍ منْ أُمُور حَيَاته، وهَذَا الصنْفُ منَ النَّاس - وهُمْ قَليل - يَأْتيهمُ الشَّيْطَانُ بكُلّ شَاردَةٍ ووَاردَةٍ فَلا يَسْتَطيعُ أَنْ يُغْويَهُمْ فَبَعْدَ مَا تُعْجزُهُ الحيَلُ مَعَهُمْ يَسْتَنْجدُ بأَوْليَائه منْ شَيَاطين الإنْس ليُعَاونُوهُ في تلْكَ المُهمَّة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فَتَجدُ الشَّابَّ إذَا هَدَاهُ اللهُ للالْتزَام بالإسْلام الْتزَامًا كَاملاً والسَّيْر عَلَىٰ نَهْج خَيْر الأَنَام ﷺ جَاءَتْهُ الفتَنُ منْ كُلّ جَانبٍ تُكَشّرُ عَنْ أَنْيَابهَا، فَإذَا اسْتَعْصَمَ بحَبْل الله وَصَبَرَ وتَغَلَّبَ عَلَىٰ شَيَاطين الجنّ وَانْتَصرَ عَلَيْهمْ جَاءَهُ أَصْدقَاءُ السُّوء وأَتْرَابُ الفُسُوق يُثَبّطُونَ منْ عَزيمَته ويُوهنُونَ منْ قُوَّته في الحَقّ ويَقُولُونَ لَهُ: «مَالَكَ قَدْ حرَمْتَ نَفْسَكَ منْ مُتَع الحَيَاة فَلَمْ تَعُدْ تَنْظُرُ إلَىٰ الفَتَيَات الجَميلات وَلا تُشَاهدُ الأَفْلاَمَ وَالمَسْرَحيَّات ولا تَسْتَمعُ إلىٰ الفَنَّانينَ وَالفَنَّانَات وتَرَكْتَ الحَفَلات وَالسَّهرَات وتَرَكْتَ الرِّبَا في المُعَامَلات وَأَصْبَحْتَ تَقُولُ: هَذَا حَلال وَهَذَا منَ المُحَرَّمَات؟ إنَّا نَرَاكَ قَدْ ضَيَّعْتَ شَبَابَكَ وَفَاتَكَ كَثير منَ اللَّذَّات...».

فَقُلْ لَهُمْ:

إنّي أَخَافُ مِنَ الضَّلالِ وَإنَّني ... أَمْشي عَلَى نَهْجِ الحَبِيبِ مُحَمَّدِ

عَزَفَتْ نَفْسي عَنِ الدُّنيَا وزِينَتِهَا ... وَرَغِبْتُ فِيمَا عِندَ رَبِّي الأَمْجَدِ

وَرَغِبْتُ عَنْ سُبُلِ الضَّلالَةِ كُلِّهَا ... فَأَنَا بِغَيرِ مُحَمَّدٍ لا أَقْتَدِي

وَأَدْعُوكَ إِلَى هذا الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ ... طَرِيقُ المَجْدِ وَالهَدَى والسُّؤْد

فَرُبَّمَا لاَ يَسْتَجِيبُ لَكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ فَقُلْ لَهُ:

إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا ... فَتَرَكْتُ مَا أَهْوَى لما أَخْشَى

فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَعَالَمِهَا ... فَإِذَا جَمِيعُ أُمُورِهَا تَفْنَى

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى القُبُورِ فَمَا ... مَيَّزْتُ بَيْنَ العَبْدِ وَالمَوْلَى

فَإِنْ شَعَرْتَ مِنْهُ لِينًا فَزِدْهُ:

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ مُدْرِكُهُ ... والقَبْرَ مَسْكَنُهُ والبَعْثَ مَخْرَجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّاتٍ سَتُبْهِجُهُ ... يَوْمَ القِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتُنْضِجُهُ

فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى به سمجٌ ... وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ

تَرَى الَّذِي اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ وَطَنًا ... لَمْ يَدرِ أَنَّ المَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ

فَإِنْ وَجَدْتَهُ أَسِيرًا لِغَفْلَةٍ فَذَكِّرْهُ بِقَوْلِكَ:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالأَمْسُ لَكَ لاَزِمُ

تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وَتَفْرَحُ بِالمُنَى ... كَمَا سُرَّ بِاللَّذَّاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ

وَشُغْلُكَ فِيمَا تَكْرَهُ غِبَّةً ... كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ البَهَائِمُ

فَإِنْ وَجَدْتَهُ مَغْرُورًا بِفُتُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ فَقُلْ لَهُ:

نَعَمْ أَنْتَ الشُّجَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أَنَّهُ لا بَقَاءَ لِلإِنْسَانِ

لَيْسَ فِيمَا بَدَا لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ ... كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِ

ثُمَّ ذَكِّرْهُ بِقَوْلِكَ:

نَسِيرُ إِلَى الآجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ

وَلَمْ نَرَ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الأَمَانِيُّ بَاطِلُ

تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلاَئِلُ

ثُمَّ قُلْ لَهُ نَاصِحًا:

يَا خَادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لا بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

فَإِنْ قَبِلَ نُصْحَكَ وَعَمِلَ بِقَوْلِكَ فَالحَمْدُ لله، وَإِنْ أَصَرَّ عَلَىٰ أَنْ يأْخُذَكَ مَعَهُ في طريق الغوَايَة والضَّلال فَاحْذَرْهُ فَإِنَّهُ من شَيَاطين الإِنْس.

قَالَ مَالكُ بْنُ دينَارٍ: «إنَّ شَيْطَانَ الإِنْس أشَدُّ عَلَيَّ من شَيْطَان الجنّ، وَذَلكَ أَنّي إذَا تَعَوَّذْتُ بالله ذَهَبَ عَنّي شَيْطَانُ الجنّ، وَشَيْطَانُ الإِنْس يَجيئني فَيَجُرُّني إِلَىٰ المَعَاصي عَيَانًا»[1].

فَنَعُوذُ بالله من شَيَاطين الإِنْس وَالجنّ، وَنَسْأَلُهُ سُبحَانَهُ أَنْ يَقينَا شَرَّهُمْ وَيكْفينَا مَكْرَهُم.

* * *